فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

* وقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: توازي قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

فالمعنى: كل شيء فان وزائل؛ إلا وجه الله عز وجل؛ فإنه باق، ولهذا قال: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]؛ فهو الحَكَم الباقي الذي يرجع إليه الناس ليحكم بينهم.

وقيل في معنى الآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: إلاّ ما أُريد به وجهه. قالوا: لأن سياق الآية يدل على ذلك: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]؛ كأنه يقول: لا تدع مع الله إلٰهاً آخر فتشرك به؛ لأن عملك وإشراكك هالك؛ أي: ضائع سدى؛ إلا ما أخلصته لوجه الله؛ فإنه يبقى؛ لأن العمل الصالح له ثواب باقٍ لا يفنى في جنات النعيم.

ولكن المعنى الأول أسد وأقوى.

وعلى طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه؛ نقول: يمكن أن نحمل الآية على المعنيين؛ إذ لا منافاة بينهما، فتحمل على هذا وهذا، فيقال: كل شيء يفنى إلاّ وجه الله عز وجل، وكل شيء من الأعمال يذهب هباءً؛ إلا ما أُريد به وجه الله.

وعلى أي التقديرين؛ ففي الآية دليل على ثبوت الوجه لله عز وجل.

وهو من الصفات الذاتية الخبرية التي مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء، ولا نقول: من الصفات الذاتية المعنوية، ولو قلنا بذلك؛ لكنا نوافق من تأوَّله تحريفاً، ولا نقول: إنها بعض من الله، أو: جزء من الله؛ لأن ذلك يوهم نقصاً لله سبحانه وتعالى.

هذا وقد فسر أهل التحريف وجه الله بثوابه؛ فقالوا: المراد بالوجه في الآية الثواب، كل شيء يفنى؛ إلا ثواب الله!

ففسروا الوجه الذي هو صفة كمال؛ فسروه بشيء مخلوق بائن عن الله قابل للعدم والوجود؛ فالثواب حادث بعد أن لم يكن، وجائز أن يرتفع، لولا وعد الله ببقائه؛ لكان من حيث العقل جائزاً أن يرتفع؛ أعني: الثواب!

فهل تقولون الآن: إن وجه الله الذي وصف الله به نفسه من باب الممكن أو من باب الواجب؟

إذا فسروه بالثواب؛ صار من باب الممكن الذي يجوز وجوده وعدمه.

وقولهم مردود بما يلي:

أولاً: أنه مخالف لظاهر اللفظ؛ فإن ظاهر اللفظ أن هذا وجه خاص، وليس هو الثواب.

ثانياً: أنه مخالف لإجماع السلف؛ فما من السلف أحد قال: إن المراد بالوجه الثواب! وهذه كتبهم بين أيدينا مزبورة محفوظة، أخرجوا لنا نصّاً عن الصحابة أو عن أئمة التابعين ومن تبعهم

بإحسان أنهم فسروا هذا التفسير! لن تجدوا إلى ذلك سبيلاً أبداً.

ثالثاً: هل يمكن أن يوصف الثواب بهذه الصفات العظيمة: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]؟! لا يمكن. لو قلنا مثلاً: جزاء المتقين ذو جلال وإكرام! فهذا لا يجوز أبداً، والله تعالى وصف هذا الوجه بأنه ذو الجلال والإكرام.

رابعاً: نقول: ما تقولون في قول الرسول ﷺ: «حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[1]. فهل الثواب له هذا النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصر الله من الخلق؟! أبداً، ولا يمكن.

وبهذا عرفنا بطلان قولهم، وأن الواجب علينا أن نفسر هذا الوجه بما أراده الله به، وهو وجه قائم به تبارك وتعالى، موصوف بالجلال والإكرام.

فإن قلت: هل كل ما جاء من كلمة (الوجه) مضافاً إلى الله يراد به وجه الله الذي هو صفته؟

فالجواب: هذا هو الأصل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٩ ـ ٢١]... وما أشبهها من الآيات.

فالأصل أن المراد بالوجه المضاف إلى الله وجه الله عز

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٨٤).

وجل الذي هو صفة من صفاته، لكن هناك كلمة اختلف المفسرون فيها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾؛ يعني: إلى أي مكان تولوا وجوهكم عند الصلاة. ﴿فَثَمَّ﴾؛ أي: فهناك وجه الله.

فمنهم من قال: إن الوجه بمعنى الجهة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]؛ فالمراد بالوجه الجهة؛ أي: فثم جهة الله؛ أي: فثم الجهة التي يقبل الله صلاتكم إليها.

قالوا: لأنها نزلت في حال السفر، إذا صلى الإنسان النافلة؛ فإنه يصلي حيث كان وجهه، أو إذا اشتبهت القبلة؛ فإنه يتحرى ويصلي حيث كان وجهه.

ولكن الصحيح أن المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقي؛ أي: إلى أي جهة تتوجهون؛ فثم وجه الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله محيط بكل شيء، ولأنه ثبت عن النبي ﷺ أن المصلي إذا قام يصلي؛ فإن الله قبل وجهه[1]، ولهذا نهى أن يبصق أمام وجهه؛ لأن الله قبل وجهه.

فإذا صليت في مكان لا تدري أين القبلة، واجتهدت وتحريت، وصليت، وصارت القبلة في الواقع خلفك؛ فالله يكون قبل وجهك، حتى في هذه الحال.

---

(١) رواه: البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذا معنى صحيح موافق لظاهر الآية.

والمعنى الأول لا يخالفه في الواقع.

إذا قلنا: فثم جهة الله، وكان هناك دليل، سواء كان هذا الدليل تفسير الآية الثانية في الوجه الثاني، أو كان الدليل ما جاءت به السنة؛ فإنك إذا توجهت إلى الله في صلاتك؛ فهي جهة الله التي يقبل الله صلاتك إليها؛ فثم أيضاً وجه الله حقّاً. وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان.

واعلم أن هذا الوجه العظيم الموصوف بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً، ولا يمكن الإحاطة به تصوراً، بل كل شيء تقدره؛ فإن الله تعالى فوق ذلك وأعظم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

فإن قيل: ما المراد بالوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]؟ إن قلت: المراد بالوجه الذات؛ فيخشى أن تكون حرفت. وإن أردت بالوجه نفس الصفة أيضاً؛ وقعت في محظور ـ وهو ما ذهب إليه بعض من لا يقدرون الله حق قدره؛ حيث قالوا: إن الله يفنى إلا وجهه ـ فماذا تصنع؟!

فالجواب: إن أردت بقولك: إلا ذاته؛ يعني: أن الله تعالى يبقى هو نفسه مع إثبات الوجه لله؛ فهذا صحيح، ويكون هنا عبَّر بالوجه عن الذات لمن له وجه.

وإن أردت بقولك: الذات: أن الوجه عبارة عن الذات بدون

إثبات الوجه؛ فهذا تحريف وغير مقبول.

وعليه فنقول: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: إلا ذاته المتصفة بالوجه، وهذا ليس فيه شيء؛ لأن الفرق بين هذا وبين قول أهل التحريف أن هؤلاء يقولون: إن المراد بالوجه الذات، ولا وجه له، ونحن نقول: المراد بالوجه الذات، لأن له وجهاً، فعبر به عن الذات.

* * *

● **إثبات اليدين لله تعالى:**

الشرح:

ذكر المؤلف رحمه الله لإثبات اليدين لله تعالى آيتين:

الآية الأولى: قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

* ﴿مَا مَنَعَكَ﴾: الخطاب لإبليس.

* و﴿مَا﴾: استفهام للتوبيخ؛ يعني: أي شيء منعك أن تسجد.

* وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: ولم يقل: لمن خلقت؛ لأن المراد هنا آدم؛ باعتبار وصفه الذي لم يشركه أحد فيه، وهو خلق الله إياه بيده، لا باعتبار شخصه.

ولهذا لما أراد إبليس النيل من آدم وحط قدره؛ قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ١٦].

ونحن قد قررنا أنه إذا عُبّر بـ(ما) عما يعقل؛ فإنه يلاحظ فيه معنى الصفة لا معنى العين والشخص، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، ولم يقل: (من)؛ لأنه ليس المراد عين هذه المرأة، ولكن المراد الصفة.

فهنا قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾؛ أي: هذا الموصوف العظيم الذي أكرمته بأنني خلقته بيدي، ولم يقصد: لمن خلقت؛ أي: لهذا الآدمي بعينه.

* وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: هي كقول القائل: بريت بالقلم، والقلم آلة البري، وتقول: صنعت هذا بيدي؛ فاليد هنا آلة الصنع.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؛ يعني: أن الله عز وجل خلق آدم بيده، وهنا قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾، وهي صيغة تثنية، وحذفت النون من التثنية من أجل الإضافة؛ كما يحذف التنوين، نحن عندما نعرب المثنى وجمع المذكر السالم؛ نقول: النون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. والعوض له حكم المُعَوَّض؛ فكما أن التنوين يحذف عند الإضافة؛ فنون التثنية والجمع تحذف عند الإضافة.

في هذه الآية توبيخ إبليس في تركه السجود لما خلقه الله بيده، وهو آدم عليه الصلاة والسلام.

وفيها: إثبات صفة الخلق: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾.

وفيها: إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى: اليدين اللتين بهما

يفعل؛ كالخلق هنا. اليدين اللتين بهما يقبض: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ وبهما يأُخذ، فإن الله تعالى يأخذ الصدقة فيربيها كما يربي الإنسان فلوه[١].

وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾: فيها أيضاً تشريف لآدم عليه الصلاة والسلام؛ حيث خلقه الله تعالى بيده.

قال أهل العلم: وكتب الله التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده[٢].

فهذه ثلاثة أشياء؛ كلها كانت بيد الله تعالى.

ولعلنا بالمناسبة لا ننسى ما مر من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله خلق آدم على صورته»[٣]، وذكرنا أن أحد الوجهين الصحيحين في تأويلها أن الله خلق آدم على الصورة التي اختارها واعتنى بها، ولهذا أضافها الله إلى نفسه إضافة تشريف

---

(١) لما رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١١٤)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم ليتصدق بالتمرة من طيب، ولا يقبل الله إلاّ طيباً، فيجعلها الله في يده اليمنى، ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوَّه أو فصيله حتى تصير مثل أُحد».

(٢) رواه الدارمي في «الرد على بِشر المريسيّ» (ص٣٥)، والحاكم (٢/٣١٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٣)، عن ابن عُمر موقوفاً. وصححه الحاكم، ولم يتعقبه الذهبي، وهو كما قالا، والحديث له حكم الرفع. وانظر: «مختصر العلو» (١٠٤)، و«حادي الأرواح» لابن القيم (٨٤).

(٣) تقدم تخريجه (١٠٧).

وتكريم؛ كإضافة الناقة والبيت إلى الله والمساجد إلى الله. والقول الثاني: أنه على صورته حقيقة ولا يلزم من ذلك التماثل.

الآية الثانية: قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

* ﴿ٱلْيَهُودُ﴾: هم أتباع موسى عليه الصلاة والسلام.

سموا يهوداً؛ قيل: لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وبناء على هذا يكون الاسم عربياً؛ لأن هادَ يهودُ ـ إذا رجع ـ عربي.

وقيل: إن أصله يهوذا، اسم أحد أولاد يعقوب، واليهود من نسبوا إليه، لكن عند التعريب صارت الذال دالاً، فقيل: يهود.

وأيّاً كان؛ لا يهمنا أن أصله هذا أو هذا.

ولكننا نعلم أن اليهود هم طائفة من بني إسرائيل، اتبعوا موسى عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء اليهود من أشد الناس عتوّاً ونفوراً؛ لأن عتو فرعون وتسلطه عليهم جعل ذلك ينطبع في نفوسهم، وصار فيهم العتو على الناس، بل وعلى الخالق عز وجل؛ فهم يصفون الله تعالى بأوصاف العيوب ـ قبحهم الله، وهم أهلها.

* يقولون: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ أي: محبوسة عن الإنفاق؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]؛ أي: محبوسة عن الإنفاق.

وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]!

أما قولهم: إن يد الله مغلولة؛ فقالوا: لولا أنها مغلولة؛ لكان الناس كلهم أغنياء؛ فكونه يجود على زيد ولا يجود على عمرو: هذا هو الغل وعدم الإنفاق!!

وقالوا: إن الله فقير؛ لأن الله قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فقالوا للرسول عليه الصلاة والسلام: يا محمد! إن ربك افتقر؛ صار يستقرض منا. قاتلهم الله!!

وقالت اليهود أيضاً: إن الله عاجز؛ لأنه حين خلق السماوات والأرض؛ استراح يوم السبت، وجعل العطلة محل عيد؛ فصار عيدهم يوم السبت. قاتلهم الله!!

* هنا يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: ﴿يَدُ﴾: أفردوها؛ لأن اليد الواحدة أقل عطاء من اليدين الثنتين، ولهذا جاء الجواب بالتثنية والبسط، فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

* ولما وصفوا الله بهذا العيب؛ عاقبهم الله بما قالوا، فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: منعت عن الإنفاق، ولهذا كان اليهود أشد الناس جمعاً للمال ومنعاً للعطاء؛ فهم أبخل عباد الله، وأشدهم شحّاً في طلب المال، ولا يمكن أن ينفقوا فلساً؛ إلا وهم يظنون أنهم سيكسبون بدله درهماً، ونرى نحن الآن لهم جمعيات كبيرة وعظيمة، لكن هم يريدون من وراء هذه الجمعيات والتبرعات أكثر وأكثر، يريدون أن يسيطروا على العالم.

فإذاً؛ لا تقل أيها الإنسان: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وبين الواقع اليوم بالنسبة لليهود؟! لأن هؤلاء القوم يبذلون ليربحوا أكثر.

* ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾؛ أي: طردوا وأُبعدوا عن رحمة الله عز وجل؛ لأن البلاء موكل بالمنطق؛ فهم لما وصفوا الله بالإمساك؛ طردوا وأُبعدوا عن رحمته؛ قيل لهم: إذا كان الله عز وجل كما قلتم لا ينفق؛ فليمنعكم رحمته حتى لا يعطيكم من جوده؛ فعوقبوا بأمرين:

١ ـ بتحويل الوصف الذي عابوا به الله سبحانه إليهم بقوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٢ ـ وبإلزامهم بمقتضى قولهم؛ بإبعادهم عن رحمة الله، حتى لا يجدوا جود الله وكرمه وفضله.

* ﴿بِمَا قَالُوا﴾: الباء هنا للسببية، وعلامة الباء التي للسببية: أن يصح أن يليها كلمة (سبب).

و(ما) هنا يصح أن تكون مصدرية، ويصح أن تكون موصولة؛ فإن كانت موصولة؛ فالعائد محذوف، وتقديره: بالذي قالوه. وإن كانت مصدرية؛ فالفعل يحول إلى مصدر؛ أي: بقولهم.

* ثم أبطل الله سبحانه وتعالى دعواهم، فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

* ﴿بَلْ﴾: هنا للاضراب الإبطالي.

وانظر كيف اختلف التعبير: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾؛ لأن المقام مقام تمدح بالكرم، والعطاء باليدين أكمل من العطاء باليد الواحدة.

* و﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾: ضد قولهم: ﴿مَغْلُولَةٌ﴾؛ فيدا الله تعالى مبسوطتان واسعتا العطاء:

كما قال النبي ﷺ: «يد الله ملأى سحَّاء (كثيرة العطاء) الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم يغض ما فيه يمينه»[1].

من يحصي ما أنفق الله منذ خلق السماوات والأرض؟! لا يحصيه أحد! ومع ذلك لم يغض ما في يمينه.

وهذا كقوله تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم؛ قاموا في صعيد واحدٍ، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر»[2].

ولننظر إلى المخيط غمس في البحر؛فإذا نزعته؛ لا ينقص

---

(١) رواه: البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧)؛ من حديث أبي ذر، قال عنه الإمام أحمد: «هو أشرف حديث لأهل الشام» «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٤)، وقد توسّع الإمام ابن رجب في شرحه في كتابه «جامع العلوم والحكم».

البحر شيئاً أبداً، ومثل هذه الصيغة يؤتى بها للمبالغة في عدم النقص؛ لأن عدم نقص البحر في مثل هذه الصورة أمر معلوم، مستحيل أن البحر ينقص بهذا؛ فمستحيل أيضاً أن الله عز وجل ينقص ملكه إذا قام كل إنسان من الإنس والجن، فقاموا فسألوا الله تعالى، فأعطى كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً.

لا تقل: «نعم؛ لا ينقص من ملكه شيئاً؛ لأنه انتقل من ملكه إلى ملكه»؛ لأنه لا يمكن أن يكون هذا هو المراد؛ لأنه لو كان هذا المراد؛ لكان الكلام عبثاً ولغواً.

لكن المعنى: لو فُرِض أن هذه العطايا العظيمة أعطيت على أنها خارجة عن ملك الله؛ لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً.

ولو كان المعنى هو الأول؛ لم يكن فيه فائدة؛ فمعروف أنه لو كان عندك عشرة ريالات، أخرجتها من الدّرج الأيمن إلى الدّرج الأيسر، وقال إنسان: إن مالك لم ينقص؛ لقيل: هذا لغو من القول!

المهم أن المعنى: لو أن هذا الذي أعطاه السائلين خارج عن ملكه؛ فإنه لا ينقصه سبحانه وتعالى.

وليس إنفاق الله تعالى بما نحصل من الدراهم والمتاع، بل كل ما بنا من نعمة فهو من الله تعالى، سواء كانت من نعم الدين أم الدنيا؛ فذرات المطر من إنفاق الله علينا، وحبات النبات من إنفاق الله.

أفبعد هذا يقال كما قالت اليهود عليهم لعائن الله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؟!

لا والله! بل يقال: إن يدي الله عز وجل مبسوطتان بالعطاء والنعم التي لا تعد ولا تحصى.

لكن إذا قالوا: لماذا أعطى زيداً ولم يعطِ عمراً؟

قلنا: لأن الله تعالى له السلطان المطلق والحكمة البالغة، ولهذا قال ردّاً على شبهتهم: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾؛ فمن الناس من يُعطيه كثيراً، ومنهم من يُعطيه قليلاً، ومنهم من يُعطيه وسطاً؛ تبعاً لما تقتضيه الحكمة، على أن هذا الذي أعطي قليلاً ليس محروماً من فضل الله وعطائه من جهة أخرى؛ فالله أعطاه صحةً وسمعاً وبصراً وعقلاً وغير ذلك من النعم التي لا تحصى، ولكن لطغيان اليهود وعدوانهم وأنهم لم ينزهوا الله عن صفات العيب، قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

فالآيتان السابقتان فيهما إثبات صفة اليدين لله عز وجل.

ولكن قد يقول قائل: إن لله أكثر من يدين؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١]؛ فأيدينا هنا جمع؛ فلنأخذ بهذا الجمع؛ لأننا إذا أخذنا بالجمع؛ أخذنا بالمثنى وزيادة؛ فما هو الجواب؟

فالجواب أن يقال: جاءت اليد مفردة ومثناة وجمعاً:

أما اليد التي جاءت بالإفراد؛ فإن المفرد المضاف يفيد

العموم، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ودليل عموم المفرد المضاف قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]؛ فـ ﴿نِعْمَتَ﴾: مفرد مضاف؛ فهي تشمل كثيراً؛ لقوله: ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾؛ إذاً: فما هي واحدة ولا ألف ولا مليون ولا ملايين.

﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾: نقول هذا المفرد لا يمنع التعدد إذا ثبت؛ لأن المفرد المضاف يفيد العموم.

أما المثنى والجمع؛ فنقول: إن الله ليس له إلا يدان اثنتان؛ كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة:

ففي الكتاب:

في سورة صٓ قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]، والمقام مقام تشريف، ولو كان الله خلقه بأكثر من يدين؛ لذكره؛ لأنه كلما ازدادت الصفة التي بها خلق الله هذا الشيء؛ ازداد تعظيم هذا الشيء.

وأيضاً: في سورة المائدة قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ في الرد على من قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾؛ بالإفراد، والمقام مقام يقتضي كثرة النعم، وكلما كثرت وسيلة العطاء؛ كثر العطاء؛ فلو كان لله تعالى أكثر من اثنتين؛ لذكرهما الله؛ لأن العطاء باليد الواحدة عطاء؛ فباليدين أكثر وأكمل من الواحدة؛ وبالثلاث ـ لو قدر ـ كان أكثر؛ فلو كان لله تعالى أكثر من اثنتين لذكرهما.

أما السنة: فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «يطوي

الله تعالى السماوات بيمينه والأرض بيده الأخرى»[1].

قال ﷺ: «كلتا يديه يمين»[2].

ولم يذكر أكثر من اثنتين.

وأجمع السلف على أن لله يدين اثنتين فقط بدون زيادة.

فعندنا النص من القرآن والسنة والإجماع على أن لله تعالى يدين اثنتين؛ فكيف نجمع بين هذا وبين الجمع ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يسٓ: ٧١]؟!

فنقول: الجمع على أحد الوجهين:

فإما أن نقول بما ذهب إليه بعض العلماء؛ من أن أقل الجمع اثنان، وعليه؛ فـ ﴿أَيْدِينَآ﴾ لا تدل على أكثر من اثنتين؛ يعني: لا يلزم أن تدل على أكثر من اثنين، وحينئذ تطابق التثنية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ولا إشكال فيه.

فإذا قلت: ما حجة هؤلاء على أن الجمع أقله اثنان؟!

فالجواب: احتجوا بقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وهما اثنتان، والقلوب جمع، والمراد به قلبان فقط؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾

---

(١) رواه: البخاري (٤٨١٢ و ٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٧ و ٢٧٨٨)؛ من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه: مسلم (١٨٢٧)؛ عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

[الأحزاب: ٤]، ولا لامرأة كذلك.

واحتجوا أيضاً بقول الله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ [النساء: ١١]؛ فـ ﴿إِخۡوَةٞ﴾ جمع، والمراد به اثنان.

واحتجوا أيضاً بأن جماعة الصلاة تحصل باثنين.

ولكن جمهور أهل اللغة يقولون: إن أقل الجمع ثلاثة، وإن خروج الجمع إلى الاثنين في هذه النصوص لسبب، وإلا فإن أقل الجمع في الأصل ثلاثة.

وإما أن نقول: إن المراد بهذا الجمع التعظيم؛ تعظيم هذه اليد وليس المراد أن لله تعالى أكثر من اثنتين.

ثم إن المراد باليد هنا نفس الذات التي لها يد، وقد قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]؛ أي: بما كسبوا؛ سواء كان من كسب اليد أو الرجل أو اللسان أو غيرها من أجزاء البدن، لكن يعبر بمثل هذا التعبير عن الفاعل نفسه.

ولهذا نقول: إن الأنعام التي هي الإبل لم يخلقها الله تعالى بيده، وفرق بين قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾، وبين قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾؛ فـ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾؛ كأنه قال: مما عملنا؛ لأن المراد باليد ذات الله التي لها يد، والمراد بـ ﴿بِيَدَيَّۖ﴾: اليدان دون الذات.

وبهذا يزول الإشكال في صفة اليد التي وردت بالإفراد

والتثنية والجمع.

فعُلِمَ الآن أن الجمع بين المفرد والتثنية سهل؛ وذلك لأن هذا مفرد مضاف فيعم كل ما ثبت لله من يد.

وأما بين التثنية والجمع؛ فمن وجهين:

أحدهما: أنه لا يراد بالجمع حقيقة معناه ـ وهو الثلاثة فأكثر ـ بل المراد به التعظيم؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا﴾ و﴿نَحْنُ﴾ و﴿قُلْنَا﴾... وما أشبه ذلك، وهو واحد، لكن يقول هذا للتعظيم.

أو يقال: إن أقل الجمع اثنان؛ فلا يحصل هنا تعارض.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]؛ فالأيد هنا بمعنى القوة؛ فهي مصدر آد يئيد؛ بمعنى: قوي، وليس المراد بالأيد صفة الله، ولهذا ما أضافها الله إلى نفسه، ما قال: بأيدينا! بل قال: ﴿بِأَيْيْدٍ﴾؛ أي: بقوة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]؛ فإن لعلماء السلف في قوله: ﴿عَن سَاقٍ﴾: قولين:

القول الأول: أن المراد به الشدة.

والقول الثاني: أن المراد به ساق الله عز وجل.

فمن نظر إلى سياق الآية مع حديث أبي سعيد[1]؛ قال: إن المراد بالساق هنا ساق الله. ومن نظر إلى الآية بمفردها؛ قال:

---

(١) حديث أبي سعيد رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

المراد بالساق الشدة.

فإذا قال قائل: أنتم تثبتون أن لله تعالى يداً حقيقية، ونحن لا نعلم من الأيدي إلا أيادي المخلوقين؛ فيلزم من كلامكم تشبيه الخالق بالمخلوق.

فالجواب أن نقول: لا يلزم من إثبات اليد لله أن نمثل الخالق بالمخلوقين؛ لأن إثبات اليد جاء في القرآن والسنة وإجماع السلف، ونفى مماثلة الخالق للمخلوقين يدل عليه الشرع والعقل والحس:

ـ أما الشرع؛ فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ـ وأما العقل؛ فلا يمكن أن يماثل الخالق المخلوق في صفاته؛ لأن هذا يعد عيباً في الخالق.

ـ وأما الحس؛ فكل إنسان يشاهد أيدي المخلوقات متفاوتة ومتباينة من كبير وصغير وضخم ودقيق...إلخ؛ فيلزم من تباين أيدي المخلوقين وتفاوتهم مباينة يد الله تعالى لأيدي المخلوقين وعدم مماثلته لهم سبحانه وتعالى من باب أولى.

هذا؛ وقد خالف أهل السنة والجماعة في إثبات اليد لله تعالى أهل التعطيل من المعتزلة والجهمية والأشعرية ونحوهم، وقالوا: لا يمكن أن نثبت لله يداً حقيقية، بل المراد باليد أمر معنوي، وهو القوة!! أو المراد باليد النعمة لأن اليد تطلق في اللغة العربية على

القوة وعلى النعمة.

ففي الحديث الصحيح حديث النواس بن سمعان الطويل: «أن الله يوحي إلى عيسى أني أخرجت عباداً لي لا يَدَان لأحد بقتالهم»[1]، والمعنى: لا قوة لأحد بقتالهم، وهم يأجوج ومأجوج.

وأما اليد بمعنى النعمة؛ فكثير، ومنه قول رسول قريش لأبي بكر: «لولا يد لك عندي لم أجزك بها؛ لأجبتك»؛[2] يعني: نعمة.

وقول المتنبي:

وَكَمْ لِظَلامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُحَدِّثُ أنَّ المانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

والمانوية: فرقة من المجوس الذين يقولون: إن الظلمة تخلق الشر، والنور يخلق الخير. فالمتنبي يقول: إنك تعطي في الليل العطايا الكثيرة التي تدل على أن المانوية تكذب؛ لأن ليلك يأتي بخير.

فالمراد بيد الله: النعمة، وليس المراد باليد اليد الحقيقية؛ لأنك لو أثبت لله يداً حقيقية؛ لزم من ذلك التجسيم أن يكون الله تعالى جسماً، والأجسام متماثلة، وحينئذ تقع فيما نهى الله عنه في قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، ورسول قريش هو عروة بن مسعود.

ونحن أسعد بالدليل منك أيها المثبت للحقيقة!! نحن نقول: سبحان من تنزه عن الأعراض والأبعاض والأغراض!! لا تجد مثل هذه السجعة لا في الكتاب ولا في السنة.

وجوابنا على هذا من عدة وجوه:

أولاً: أن تفسير اليد بالقوة أو النعمة مخالف لظاهر اللفظ، وما كان مخالفاً لظاهر اللفظ؛ فهو مردود؛ إلا بدليل.

ثانياً: أنه مخالف لإجماع السلف؛ حيث إنهم كلهم مجمعون على أن المراد باليد اليد الحقيقية.

فإن قال لك قائل: أين إجماع السلف؟ هات لي كلمة واحدة عن أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي؛ يقولون: إن المراد بيد الله اليد الحقيقية!

أقول له: ائت لي بكلمة واحدة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة والأئمة من بعدهم يقولون: إن المراد باليد القوة أو النعمة.

فلا يستطيع أن يأتي بذلك.

إذاً؛ فلو كان عندهم معنىً يخالف لظاهر اللفظ؛ لكانوا يقولون به، ولنقل عنهم، فلما لم يقولوا به؛ عُلم أنهم أخذوا بظاهر اللفظ وأجمعوا عليه.

وهذه فائدة عظيمة، وهي أنه إذا لم ينقل عن الصحابة ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة؛ فإنهم لا يقولون بسواه؛ لأنهم الذين

نزل القرآن بلغتهم، وخاطبهم النبي ﷺ بلغتهم؛ فلا بد أن يفهموا الكتاب والسنة على ظاهرهما؛ فإذا لم ينقل عنهم ما يخالفه؛ كان ذلك قولهم.

ثالثاً: أنه يمتنع غاية الامتناع أن يراد باليد النعمة أو القوة في مثل قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]؛ لأنه يستلزم أن تكون النعمة نعمتين فقط، ونعم الله لا تحصى!! ويستلزم أن القوة قوتان، والقوة بمعنى واحد لا يتعدد! فهذا التركيب يمنع غاية المنع أن يكون المراد باليد القوة أو النعمة.

هب أنه قد يمكن في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: أن يراد بهما النعمة على تأويل، لكن لا يمكن أن يراد بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ النعمة أبداً.

أما القوة؛ فيمتنع أن يكون المراد باليدين القوة في الآيتين جميعاً؛ في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ وفي قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؛ لأن القوة لا تتعدد.

رابعاً: أنه لو كان المراد باليد القوة؛ ما كان لآدم فضل على إبليس، بل ولا على الحمير والكلاب؛ لأنهم كلهم خلقوا بقوة الله، ولو كان المراد باليد القوة؛ ما صح الاحتجاج على إبليس؛ إذ إن إبليس سيقول: وأنا يا رب خلقتني بقوتك؛ فما فضله علي؟!

خامساً: أن يقال: إن هذه اليد التي أثبتها الله جاءت على وجوه متنوعة يمتنع أن يراد بها النعمة أو القوة؛ فجاء فيها ذكر الأصابع والقبض والبسط والكف واليمين، وكل هذا يمتنع أن يراد

بها القوة؛ لأن القوة لا توصف بهذه الأوصاف.

فنتبين بهذا أن قول هؤلاء المحرفين الذين قالوا: المراد باليد القوة باطل من عدة أوجه.

وقد سبق أن صفات الله عز وجل من الأُمور الخبرية الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وما كان هذا سبيله؛ فإن الواجب علينا إبقاؤه على ظاهره؛ من غير أن نتعرض له.

* * *

● إثبات العينين لله تعالى:

الشرح:

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى لإثبات العينين لله تعالى ثلاث آيات.

الآية الأولى: قوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

* الخطاب هنا للنبي عليه الصلاة والسلام.

* والصبر: بمعنى الحبس، ومنه قولهم: قُتِلَ صبراً؛ أي: قتل وقد حُبِسَ للقتل.

فالصبر في اللغة: بمعنى الحبس.

وفي الشرع: قالوا: هو الصبر لأحكام الله، يعني: حبس النفس لأحكام الله.